وقفة: مع الأمانة

سبحان الله العظيم، ما فرّط في الكتاب من شيء، بل إن كتاب الله تعالى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فها هو يتحدث عن الأمانة، ويمتدحُ حافظيها، فكان ممّن أفلح من المؤمنين:{وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨} [المؤمنون: ٨].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:ﷺ**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**ﷺ، متفق عليه.

فالتحلي بالأمانة أيها المسلم، مطلب شرعي، حضّ عليه الشارع الحكيم، وحض عليه الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

الأمانة في نظر الشرع واسعة الدلالة، كبيرة المضمون، ترمز إلى معانٍ شتى، وتشير إلى أمور كثيرة، فهي تتعلق بشعور المرء بتبعته في كل ما يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه، استلهامًا من قول الحبيب صلى الله عليه وسلم :ﷺ**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**ﷺ، رواه مسلم.

فيا أيها الأحبة في الله، لا تقتصر الأمانة على الأموال فحسب، كما يظن عدد غفير من الناس، بل تشمل كل التزام بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الناس، فكل ذلك من قبيل الأمانة التي يجب حفظها وأداؤها.

ولقد تحمل الإنسان الظلومُ الجهول الأمانة، تحملها عن سائر المخلوقات، يقول الله في محكم الآيات:{ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب: ٧٢].

فيا لله، أبت العوالم كلها حمل الأمانة، وحملها الإنسان وحده، بصغر حجمه، وقلة قوته، وضعف حوْله، ومحدودية عمره، وهو تتناوشه الشهوات والنزعات، والميول والأطماع.

ولك أنت تتصور أيها الأخ المبارك حفظك الله، لك أن تتصور السماوات بعلوّها الشاهق، والأرض بحجمها الواسع، والجبال برسوخها الثابت، لم تستطع حمل الأمانة، وأبت أن تحملها، ويأتي هذا الإنسان ليحملها، مستعينًا على حملها بخالقه جلت قدرته، لأنه المخلوق المكرّم عند ربه:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ} [الإسراء: ٧٠].

فقد حمل الأنبياء والمرسلون عليهم السلام الأمانة، وعلموها أتباعهم، وبينوا لأتباعهم مسؤولية الأمانة، فهذا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يحث على الأمانة في خطبه، ويدعو إلى أدائها على الوجه الذي يرضي رب الأرض والسماوات، فعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال:♂**لا إيمان لمن لا أمانة له**ـــ، رواه أحمد وابن حبان.

إخوتاه، العبادات أمانة، فعلينا أن نؤديها بتمامها، ولا ننقص منها شيئًا ما دمنا قادرين على ذلك، والعقل الذي منحنا الله إياه أمانة، والجسم أمانة، والنفس أمانة، يقول عليه الصلاة والسلام:♂**نفسك مطيتك فأرفق فيها**ـــ، رواه مسلم.

زوجك، وولدك، ووالدك، وصلة قرابتك كلهم أمانة، والوطن أمانة، والأمة في أيدي ولاة الأمور أمانة، والمال في أيدي الناس أمانة، فإن أحسنوا التصرف به والقيام عليه أدوا أمانته، وإلا كانوا ظالمين.

والدين يا أمة الإسلام أمانة في أعناق المسلمين، وبخاصة العلماء منهم، والأمثلة أكثر من أن تحصر، أو أن تحصى، فكل جزءٍ من هذه الحياة أمانة، سواءً كان في العقيدة، أو الشريعة، أو العبادات، أو السلوك والمعاملات، أو الأدب، وكل شأنٍ، كالتكامل الاجتماعي، والسياسة الرشيدة، والخلق الحسن الكريم.

ومن الأمانة: أن تحترم الأمةُ أفرادًا وجماعات العهود والمواثيق، لما في ذلك من أثر طيب على الفرد والجماعة.

ولذا أخي الكريم، وأختي الفاضلة، كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يستعيذ بالله تعالى من نقيض الأمانة، فكان يقول مخاطبًا ربه: ﷺ **وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**ﷺ، رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

وقد سطر التأريخ بأحرف من نور، ومداد من ذهب، المثل الأروع في أداء الأمانة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقد خلَّف وراءه عليًا رضي الله عنه، عندما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ليرد الأمانات إلى أهلها، وهم من؟

هم من المشركين الذين أخرجوه من مكة، فيا له من موقف عظيم، لرسولٍ عظيم، تحلى بأداء الأمانة، فلا غرو ولا استغراب، فهو الصادق الأمين.

يقول الله تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا} [النساء: ٥٨]، فهيا أحبتي في الله، هيا فلنتق الله في أماناتنا وعهودنا، ونؤد الأمانة لأهلها.

وقفة يا عبد الله، وقفة صادقة مع ربك، ثم مع نفسك، أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك، ولا يحملنك حب الدنيا على مخالفة القرآن الكريم، فتعرّض نفسك لسخط الله وغضبه.

فلا، ولا، ولا، لا تكن خائنًا لنفسك، ولا في عملك، ولا في تجارتك، ولا تطفّف الكيل والميزان لتغنى بسرعة، فيكون مالك من السحت، والنار أولى به، عيادًا بالله رب العرش العظيم.

واعلم أُخَيَّ أن ثلاثًا متعلقاتٌ بعرش الرحمن:

الرحم تقول: اللهم إني بك فلا أقطع.

والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أخان.

والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أكفر.

إذن، فالأمانة تستعيذ بربها من خيانتها، وكل ذي أمانة مسؤول عن أمانته، محاسب عليها، يوم يصرخ قائلاً: {أَيْنَ الْمَفَرُّ} [القيامة: ١٠]، فيقال: {كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾} [القيامة: ١١ - ١٢].

فلعموم المسلمين، من ضيّع أمانة عليه أن يدرك نفسه، وليتب إلى الله تعالى، وليؤد الأمانة كما أمره الحي القيوم، قبل أن تأتيه ساعة الندم، ولن ينفعه الندم.

فاللهم اجعلنا من أولائك الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، وتبارك الله رب العالمين.

* * *